تجليات المكان الروائي بوصفه فضاءً دلالياً ومشغلاً وظيفياً، رواية" رامة والتنين" أختياراً

م.م نغم عدنان ناجي

جامعة ذي قار – كلية التربية للعلوم الإنسانية

Nagam1984@utq.edu.iq

الملخص:

يتجلى المكان مع ما ينشده الجانب الجمالي في العمل الروائي، وهي درجة من الجودة تحسب له؛ لقدرته على اختزان أمكنة مغايرة لما يعهده المتلقي أو تقديم المكان الذي يعيشه المتلقي في صورةٍ فنية مختلفة. تتمظهر الأفكار في العمل الروائي صغيرة كانت تلك الافكار أم كبيرة، واقعية أم متخيلة، خفية أم معلنة، فالمكان نتاج لعلاقة مترابطة بين الشخصيات وما يحيطها من ظروف وأحداث، فيتجسد جلياً في النص الروائي بحسب نوع تلك العلاقة ودرجة اهتمام الروائي، وانطلاقا من هذا المنظور اعتمد الباحث على تقسيم بحثه إلى مبحثين حمل المبحث الاول عنوان المكان الروائي بوصفه فضاءً دلالياً في رواية رامة والتنين، فجاء على محورين حمل المحور الاول عنصر المكان والرواية عند أدوار الخراط ، أما المحور الثاني فقد جاء تحت عنوان سبل الروائي (الخراط) في خلق المكان بالنسبة اليه، أما المبحث الثاني تناول تجليات المكان وكيفية خلقه في رواية رامة والتنين، فجاء تحت عنوان التجليات والكيفية في الرواية، وقُسم على محورين تضمن المحور الأول قراءة المكان في النص الروائي، أما المحور الثاني اعتنى بالاشتغال الوظيفي للمكان في رواية رامة والتنين، وكيف وظف الراوي أمكنته داخل الاطار الحكائي للرواية، ثم تبع ذلك مجموعة من النتائج المستخلصة من هدي البحث والتقصي التي جاء بها الباحث، تليها قائمة بالمصادر والمراجع التي اسعفت الباحثة في مضمار بحثها.

الكلمات المفتاحية: (رامة والتنين ، ميخائيل، المكان الروائي ، الفضاء الدلالي، المكان والرواية:، النص الروائي ،الاشتغال الوظيفي).

Manifestations of the novelistic place as a semantic space and a functional operator

Asst.Lect Nagham Adnan Naji

Nagam1984@utq.edu.iq

Dhi Qar University - College of Human Education

Abstract:

The place appears with what the aesthetic side seeks, and it is a degree of quality that is credited to the novelist for his ability to store places different from what the recipient is familiar with or to present the place that the recipient lives in in a different artistic form. Ideas appear in the fictional work, whether these ideas are small or large, real or imagined, hidden or declared. Place is the product of an interconnected relationship between the characters and what surrounds them, and is clearly embodied in the fictional text according to the type of that relationship and the degree of the novelist's interest. Based on this perspective, the researcher relied on dividing His research was divided into two sections. The first section covered the title of the fictional place as a semantic space. It was based on two axes. The first section carried the element of place and the novel. The second section came under the title of the novelist's ways of creating place. The second section dealt with the manifestations of the place and how to create it. It came under the title of manifestations and how. It was divided into two axes, the first axis included reading the place in the fictional text, while the second axis took care of the functional operation of the place in the novel, then this was followed by a set of results extracted from the guidance of research and investigation that the researcher came up with, followed by a list of sources and references that helped the researcher in the field of his

research.

Keywords: (Rama and the Dragon, Michael, the novelistic place, the semantic space, the place and the novel, the novelistic text, functional work).

التمهيد:

رامة والتنين:

هي رواية للكاتب والروائي أدوار الخراط ،الصادرة عام ١٩٨٠، تدور أحداثها في مصر فترة الستينات، عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، صنفت من أفضل مائة رواية عربية ، ترصد احداثها قصة حب بين ميخائيل ورامة، تبدو على شكل حوار بين رجل وامراة تختلط فيها رموز أسطورية ، ورمزية، وفرعونية ، ويونانية ، وإسلامية، وفيها يتجلى فيها عمق التجربة الإنسانية، والصراع الذي ينتاب الانسان طيلة حياته، فنراها تتارجح بين الابعاد الفلسفية والعقلية.[١] ، والقارئ للرواية يرى أن هناك شتان بين شخصية رامة المحبة للحياة، الكثيرة السفر، ذات العلاقات المتعددة، وبين ميخائيل ، الرجل الانطوائي ،ذو العزلة، الذي يبقى لايام في غرفة الفندق الذي يقيم فيه ، لايرى احد ولايكلم احد ، سوى رامة المحبوبة والعشيقة، التي يكتفي بها عن الجميع ، أذ وصفت الرواية بأنها مأساة مصيرية وتحتوي على مشاعر حب ، ممتزجة بخوف وحيرة، وتشبث بالحبيبة ، التي هالتها الدينية، ليس كمايشتهي (مسلمة) ، وكأن الحب يوأد مهما كانت تضحياته بسبب تشبث القمر بهالته ، التي لاتعرفها لغة القلوب !

أدوار الخراط:

هو كاتب مصري، تولد الإسكندرية ١٦/مارس/ ١٩٢٦ ، من عائلة قبطية، عمل في مخازن البحرية البريطانية، ومن ثم موظفاً في البنك الأهلي المصري، وبعدها عمل مترجماً بالسفارة الرومانية بالقاهرة ، توفي عام ٢٠١٥ في القاهرة، شارك في

الحركة الوطنية في الإسكندرية، وهو من الرافضين للواقعية الاجتماعية ، كما جسدها نجيب محفوظ، صدر للكاتب اكثر من ٥٠ كتاب قصصي او شعري، قام بترجمة أربعة عشرة كتابا ألى اللغة العربية ومن مؤلفاته:

١- حيطان عالية مجموعة قصصية
٢- الزمن الاخر
٣- اضلاع الصحراء
٤- يقين العطش
٥- رامة والتنين ، التي هي موضع الدراسة [٢]

المكان:

يُعدُّ المكان مكمن القوى الباطنية وهو أكثر التصاقاً بحياة البشر، فهو يثبت هويتهم ويؤطر طباعهم، فإذا كان الزمن يدرك إدراكاً غيرَ مباشر من خلال فعلِه بالأشياء، فإنَّ المكان يدرك إدراكاً حسيّاً، وهو بعبارة أخرى مكمن القوى (النفسية والعقلية) للكائن الحي[٣].

لقد عُرف المكان لغةً في لسان العرب " المكان الموضع ، والجمع أمكنة ... وأماكن جمع الجمع "[٤] وكذلك في القاموس المحيط " المكان : الموضع "[٥] إذ تجمع المعجمات على تفسير المكان بالموضع .

أما في المفهوم الاصطلاحي الأدبي لا يعني فقط الأبعاد الهندسية وحسب أو بتعبير آخر ليس بشكل موضعي فقط ، بل بكل ما في الخيال من تحيّز ، إذ يرتبط مع نفسية الكاتب كما سنلاحظ أمكنة أدوار الخراط، وكيف خلق لنا صوراً عن ألأمكنة التي وشح بها روايته حتى باتت امكنته أقرب الى الواقع منها الى العالم الورقي ،فقد يبدو المكان ليس كما نعيشه على أرض الواقع بصورته الموضعية، بل

يخلق لنا مكاناً متصوراً جديداً[٦]

لا شكَّ أنَّ المكان يحمل من قيم إنسانية يدرك فيها الإنسان أثره في حياته، ودوره الفاعل في رسم العلاقة بينه وبين العالم المحيط به، لذا كان حرص الروائي (أدوار الخراط) على صورة المكان يأتي من حرصه على الهوية والانتماء كما ذكر من أمكنة بور سعيد ، مصر التي هي بلد الروائي[٧]؛ لذلك نرى صورته في الأدب ليس بالمنظور الجغرافي فقط، بل يأتي مشحوناً بالعواطف والتجارب الإنسانية، المؤطرة بالأحاسيس الإيجابية منها أو السلبية، إذ تتمظهر فيه الأفكار صغيرة كانت أم كبيرة، واقعية أم متخيلة، خفية أم معلنة، فالمكان نتاج لعلاقة مترابطة بين الشخصيات وما يحيطها، فيتجسد جلياً في النص االروائي بحسب نوع تلك العلاقة ودرجة اهتمام الكاتب ونجد الكاتب في هذه الرواية يهتم بالقضية الفلسطينية في أحد أبواب روايته، وماترمز له هذه القضية بالنسبة للجانب السياسي العربي.

يرتبط المكان بالزمان بمرجعيات مترابطة بينهما " فالمكان هو الحيز على حين يكون الزمان هو الإطار الذي يبرز حركة الأحداث داخل ذلك الحيز، فالعلاقة بينهم مترابطة"[٨]، إذ أحياناً يركب الأديب قارب الذكريات فيعود إلى أمكنة ضمن إطار زمان حياته، فأما يستقبل فيها الألفة والانجذاب الروحي والجمال، وأما يستقبل التيه والكآبة وطعنات الزمان، أو يعود إلى أزمنة معينة من سنين عمره، فكما يمكن تصوير المكان، يمكن أيضاً تصوير الزمان في لحظةٍ تعبر فيها الذات من حاضر إلى ماضٍ وفي هذا الاطار وظف (أدوار الخراط)الكثير من الرموز الاغريقية والأسطورية ، والإسلامية التي أضفت على رواية رامة والتنين جلباب التميز والابداع الفني[٩]. إنَّ الربط بين عنصري الزمان والمكان جاء عند علماء النفس؛ " لأنَّهما يمثِّلان في واقع الأمر إطاراً اجتماعياً متكاملاً، يتحرك ضمن حدوده الإنسان للوصول إلى ما يطمح إليه في حياته "[١٠]. ومثل مفهوم الزمكانية (الزمان/ المكان) الذي أطلقه باختين عام ١٩٣٨م، ودراسات (باشلار) حول جمالية المكان

انعطافه في تطور المفهوم بأنَّ المكان أصبح بطلاً قائماً بذاته، ومهيمناً محركاً للأحداث، فلم يعد يحصره الحيز الموضعي ، بل كائناً نألفه ونحبه وندافع عنه ، ونشعر بالأسى لفقده(١١) .

وهناك راي يتماهى مع الواقع يرى المكان الروائي من زاوية أخرى ، فلا يرى المكان ارض سهلة أو صلبة، او مكان مغلق او مفتوح، او مكان معادي او أليف أو ساكن أو متحرك ، بل هو ذاكرة فكرية وروحية وجمالية، يصعب تجاوزها بسهولة،كما النقش على الحجر (١٢).

وفي اغلب الأحيان تكون هناك علاقة تلازمية مابين الفضاء والزمان والمكان، تتمحور في مثلث يصعب فك ضلع من اضلاعه الاماندر ف " الفضاء في الرواية ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة؛ لانه يعاش على عدة مستويات من طرف الراوي بوصفه كائنا مشخصاً وتخيلياً اساسا، ومن اللغة التي يستعملها، فكل لغة لها صفات خاصة لتحديد المكان، ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان ، وفي المقام الأخير من طرف القارىء الذي يدرج بدوره، وجهة نظر غاية في الأهمية" (١٣)

المبحث الأول

المكان الروائي بوصفه الفضاء الدلالي

عنصر المكان والرواية:

في مجال الدراسات الروائية اهتم دارسو الرواية بدراسة عنصر المكان، مما نتج عنه مجموعة من المصطلحات الخاصة بدراسة هذا العصر مثل المكان الروائي، والفضاء الجغرافي، والفضاء الدلالي، والفضاء النصي، ونجده في رامة والتنين يتشظى الى فضاء الكنيسة ، فضاء الميناء ، فضاء الحانة. فضاء الممرات الضيقة والاعمدة الممتدة الى السماء (١٤)

وقد آثر المشتغلون بدراسة عنصر المكان في الرواية استخدام مصطلح الفضاء الروائي عن مصطلح المكان الروائي؛ حيث وجدوا في الأول شمولية أوسع، لكونه يشمل المكان والزمان. فالمكان الروائي، مكان بعينه تجري فيه أحداث الرواية، بينما يشير الفضاء الروائي إلى المسرح الروائي بأكمله، ويكون المكان داخله جزءا منه. (١٥)

وقد حظي كل من الفضاء والمكان في الرواية باهتمام كثير من الدارسين؛ لأن المكان في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد شيء صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية، فهو عنصر غالب في الرواية حامل للدلالة، ويمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية، لذا يرى البعض " أن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته"(١٦). ومن الممكن أن يفقد حتى سمته الأدبية، كون العمل الروائي يتكأ بكل ثقله على هذا العنصر الفعال ن أذا انتفى المكان أصبح موقف الزمان ضعيفاً، وأذا أنتفت الزمكانية ، تعثر الفضاء الروائي ، مما يؤدي الى تلاشي العمل الادبي.

سبل الروائي في خلق المكان:

إن المكان الروائي بناء لغوي، يشيده خيال الروائي، والطابع اللفظي فيه يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها؛ ذلك أن "المكان في الرواية ليس هو المكان الطبيعي أو الموضوعي وإنما هو مكان يخلقه المؤلف في النص الروائي عن طريق الكلمات ويجعل منه شيئا خياليا"(١٧)، فالمكان في النص الروائي مكان متخيل وبناء لغوي تقيمه الكلمات انصياعا لأغراض التخييل وحاجته، فالمكان إذن نتاج مجموعة من الأساليب اللغوية المختلفة ، وللروائي سبل شتى في تشييد الفضاء أو المكان الروائي، منها: الوصف، استخدام الصورة الفنية، توظيف الرموز، ولكل منها دوره الفعال في النص الروائي(١٨)، فو نظرنا على نص من رواية رامة والتنين في سرده بقوله: ((... **رقد صامتاً ، مغلقاً، برهة. ثم قام**

وجلس أمام النافذة، شجرتها الجافة الشتوية، بلا أزهار ولا ورق، والغرفة حولهما معادية، والصبح قاتم مرة أخرى. مازال شق صغير طولي من النافذة مفتوحاً على الهواء البارد....))[١٩].

فقد قام الروائي بزج عناصر المكان في شفرات موحية ،و دلالات يتمعنها المتلقي ويفسرها بوضوح بما تكتنز من توظيف للرمز، ولا شكَّ أنَّ لكل من هذه العناصر دورها الفعال في رسم صورة المكان ، ففي وصف المكان بالألفاظ الآتية:

وجلس أمام النافذة،

شجرتها الجافة الشتوية،

بلا أزهار ولا ورق،

والغرفة حولهما معادية

يبدو لكل صورة دلالة رمزية تحملها لتحكي انفعالات وهواجس بدقة من الوصف والرصف.

إنَّ الروائي حين يلجأ إلى الوصف، يبذل قصارى جهده للبرهنة على قدرته أن يجعلنا نرى الأشياء أكثر وضوحا . ذلك أن الوصف هو: ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات، أي ذكر الأشياء في مظهرها الحسي الموجودة عليه في العالم الخارجي. فالوصف يقدم الأشياء للعين في صور أمينة تحرص على نقل المنظور الخارجي أدق النقل [٢٠]. ويتمثل في باب (قناع من النحاس فاغر العينين)

((يمرُّ الرجال من بين الأعمدة إلى هياكل الكائنات العاريات تحت غلالتهن البيضاء الشفافة يفين بنذورهن ... وارتفعت حواليه حيطان من الحجر الألفي الراسخ حتى سحابات العتمة في السقف البعيد المنقور المفتوح على السماء وأعمدة باسقة ضخمة الاستدارة لا تحيط بها أذرع عشرة رجال، ولا تكاد ترى نهاية دورانها الجسيم الكامل الأمتلاء، رؤوسها تيجان من اللوتس الصوان وعيدان القصب الحجرية الغامضة في ضوء نجوم يمسها ولا تلذع أصابعها. على

بلاطات الأرض الرخامية العريضة المبرية من مس الأقدام الحافية وتقلب الأجسام في عذاب لا ينتهي في قبضة قهر دائم لاينقطع بين الأعمدة المتماسكة التي لا تهتز ولا تسقط ابدا تتشبث بها عيون الأطفال الثابتة التي أطفئها الحرمان وأكلها الرمد و لا تسقط ابدا، الغيطان تحت عتبات الأعمدة تغطيها مياه الدميرة الساكنة الحمرة تتشرب عجينة الخصوبة حتى أعماق الرحم الأسود والصموت....))[٢١]

وفي ضوء ذلك فإنَّ الروائي عندما لجأ إلى وصف هذا المكان أو الفضاء الروائي، فإنه يرمي من وراء ذلك إلى بث المصداقية فيما يروي، بجعل المكان في الرواية مماثلا في مظهره الخارجي للحقيقة، نابعا من مرجعيته الواقعية. ذلك أن الروائي حين يصف المكان الطبيعي، يستثمر عناصره الفيزيائية لتجسيده، بحيث يجعلنا نقف على الصور الطوبوغرافية للمكان، والتي تخبرنا عن مظهره الخارجي ؛ إذ إنه ؛يرسم صورة بصرية تجعل إدراك المكان بواسطة اللغة ممكنا ، جاعلا من الوصف أداة لتصوير المكان وبيان جزئياته وأبعاده. وهو بتوظيفه عناصر المكان المحسوسة لتشكيل مكانه المتخيل، إنما يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخييلي وي شعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق انطباعا بالحقيقة أو تأثيرا مباشرا بالواقع.[٢٢].

أما حين يعمد الروائي إلى إسقاط مجموعة من الصفات الطوبوغرافية على الفضاء أو المكان الروائي، والتي هي عبارة عن المعاني الوصفية التي تدخل في تركيب صورة المكان والقيم الرمزية المنبثقة عنها، إنما يفعل ذلك بغية البرهنة على العلاقة بين المكان والشخصية في النص الروائي. كما أن اختلاف هذه الصفات وتنوعها من مكان إلى آخر في الفضاء الروائي، يمكن أن يعكس لنا الفروق الاجتماعية والنفسية والأيديولوجية لدى شخوص الرواية. هذا فضلا عن أن الدلالات النابعة من هذه الفروق يمكن أن تكون تعبيرا عن رؤية شخوص الرواية

للعالم وموقفهم منه، كما قد تكشف عن الوضع النفسي للشخوص وحياتهم اللاشعورية، بحيث يصير للمكان بعد نفسي يسبر أغوار النفس البشرية، عاكسا ما يثيره المكان من انفعال سلبي أو إيجابي في نفس الحال فيه.[٢٣] ، كما في باب (حمامة تحت الاعمدة مكسورة القدم) :

((ضجيج الحارة المزدحمة الحية قد خفت الآن، ونافذته تطل على منور داخلي يقتنص قطعة من سماء الإسكندرية التي يزداد عمق زرقتها في نور هذا الغسق الذي سرعان ما ينتهي كان عند إذ يقول لنفسه أشعار الشباب رتيبة الإيقاع حزنها طفلي عذب مهدهد للجراح الأولى البريئة الساطعة وكانت الدموع حلوة ومرضية أشواق هذا المراهق الذي لا يعرف ابدا كيف يبلغ سن الرشد تحيط قلبه بنفس قبضتها القديمة ، حنون وتعتصر أحزان صعبة تأتيه من عبر مسافات السنوات صرخة كروان الغروب المفاجئة))[٢٤]

فهنا المكان قام بدور المتحدث عن الشخصية عبر (ضجيج الحارة) ونافذة قليلة الأفق محصورة المدى ، وفي المقابل قطعة من سماء الإسكندرية في نور الغسق، إذ تحكي أشعار الشباب حزنها الطفلي مهدهد الجراح ، وتحيط قلبه الحنون وأحزانه التي تأتيه من مسافات السنوات، وهناك صرخة عذبة تختلجه كصرخة الكروان أ ذ يوظف الروائي هذه التشبيهات والاسماء ليس أعتباطاً وأنما من أجل أن يجعل المكان المعني أكثر واقعية كما لو انه مكان موجود فعلاً يأثر ويتأثر به.

المبحث الثاني

التجليات والكيفية

قراءة المكان في النص الروائي:

لما كان المكان لا يعيش بمعزل عن باقي عناصر الرواية، وإنما يدخل في علاقة تفاعل مع المكونات الحكائية للسرد كالشخصيات والزمان والأحداث والرؤى السردية، فإن عدم قراءته ضمن هذه العلاقات والصلات يجعل من العسير فهمه

داخل السرد الروائي. في حين أن قراءتنا له مرتبطة بالعناصر سالفة الذكر، وتظهر مدى وعينا به وقدرتنا على فهمه، ومن ثم قدرتنا على تلقي النص الروائي وفهمه.

وحتى يتسنى لنا قراءة المكان قراءة واعية تؤدي إلى فهمه على نحو صحيح. اقترح الباحثون ثلاثة محاور في هذا الصدد؛ يتمثل أولها في الرؤية (أو زاوية النظر أو المنظور) التي يتخذها الراوي أو الشخصيات عند مباشرتهم للمكان لأن الرؤية هي التي تقود " نحو معرفة المكان وتملكه من حيث هو صورة تنعكس في ذهن الراوي، ويدركها وعيه قبل أن يعرضها علينا في خطابه" (٢٥).

في حين يتمثل المحور الثاني في فهمنا للغة الموظفة لتشخيص أو وصف المكان فكل لغة لها صفات خاصة في تحديد المكان أو رسم طوبوغرافيته وبها يحقق المكان دلالته الخاصة وتماسكه. أما المحور الثالث فيتمثل في المتلقي أو القارئ للمكان في النص الروائي فهو يتلقى جمالياته المنبثقة عبر النص السردي والتي لها أثرها في التلقي، كما أنه يساهم في إنتاج هذه الجماليات (٢٦).

وبالنتيجة يتجلى المكان مع ما ينشده الجانب الجمالي ، وهي درجة من الجودة تحسب للروائي لقدرته على اختزان أمكنة مغايرة لما يعهده المتلقي أو تقديم المكان الذي يعيشه المتلقي في صورة فنية مختلفة.

الاشتغال الوظيفي للمكان في رواية رامة والتنين:

يظهر المكان في الرواية التقليدية مجرد خلفية تتحرك أمامها الشخصيات أو تقع فيها الحوادث، ولا تلقى من الروائي اهتماماً أو عناية، وهو محض مكان هندسي.

وفي الرواية الرومانتيكية يظهر المكان معبراً عن نفسية الشخصيات، ومنسجماً مع رؤيتها للكون والحياة وحاملاً لبعض الأفكار، ففي نص من رواية راما والتنين تتجسد نفسية الشخصية من خلال ما يبثه الروائي من وصف للمكان يعكس فيه

هواجس الشخصية وما تحيطها من انفعالات، كما في باب (مركب في آخر البحيرة)إذ يقول فيها:

((يكاد في كل خطوة ينزلق، بحذائه القماشي الأسود على الطحلب اللزج. والقواقع الصغيرة الثابتة على الحجر تتهشم تحته في قرقعة مكتومة ، خليفة الصوت في الهواء الفسيح ثم يك بخفة من حجر إلى حده منم وحده بد ذراعه ويوازن حركته السريعة المخرجة وقد حس حياة جديدة، وتوفزاً في الفراء برائحته القادمة وبرده الخفيف وقف لحظة يعب على صدره من السماء البيضاء الرقيقة الشوق للمقر المحرق للعودة إلى حضنها الناعم الدقيء، إلى إحاطة كتفيها بذراعيه إلى عينيها الشوق ينجم عليه فجأة، والنداء المكتوم يرتفع مرة أخرى راحة، رامة، ماذا حدث؟ أين أنت؟ أين أنت الآن مني؟ قال الله أن يسحقي هذا الشرق، أن تعرفني موجته التي ترتفع))[٢٧].

فلو تتبعنا لقطات المشاهد الروائية لوجدنا أنها تكتنز بانفعالات الشخصية وهواجسها ، فـ(كل خطوة ينزلق) لها معناها الانفعالي بعدم الثبات، و(على الطحلب اللزج)، كما تعطي لفظة (القواقع الصغيرة) في المكان ذاته دلالة أخرى تفسر أفكار الشخصية وألمها في مسيرها فضلاً عن اصرارها على التقدم رغم المعرقلات ورغم الألم، وذلك يتمظهر في (تتهشم تحته في قرقعة مكتومة)،

وفي هذه الحالة" يبدو المكان كما لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والحدس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر " [٢٨].

وفي كلتا الحالتين يظل المكان في إطار المعنى التقليدي للمكان في الرواية، ويمكن أن يعد هذا المعنى البنية التحتية، على حين يمكن أن يحقق المكان بنية فوقية، يغدو فيها المكان فضاء، وذلك عندما يسهم المكان في بناء الرواية وعندما تخترقه

الشخصيات "فيتسع ليشمل العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والحوادث، وهي فوقها كلها ليصبح نوعاً من الإيقاع المنظم لها " [٢٩].

"إن الوضع المكاني في الرواية يمكنه أن يصبح محدداً أساسياً للمادة الحكائية ولتلاحق الأحداث والحوافز، أي إنه سيتحول في النهاية إلى مكوّن روائي جوهري ويحدث قطيعة مع مفهومه كديكور" [٣٠]. وهكذا يدخل المكان في الرواية عنصراً فاعلاً، في تطورها، وبنائها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه، وفي علاقات بعضها ببعضها الآخر. ففي النص الروائي فيما جاء في رواية راما والتنين في باب (السلالم الضيقة والتنين) قوله: **((فابتسمت ابتسامة صغيرة مجاملة ولم تقل له أنّه متفيقه من غير داع . كانت تتحدث قبلها بأسابيع عن اصدقائها كتاب وشعراء كانوا بالأمس في حفلة السفارة السوفيتية، يأكلون أكلاً لا يصدق ويعبون الويسكي بلا توقف، قالت: هؤلاء الشعراء كيف يستطيعون هذا ؟ لا أكاد أتصور.. لكنهم هكذا، فيما افترض الشعراء ذرية ديونزيوس، لم يقل لها رفرف ظلال الشجر العتيق الوفير على النوم الصيفي العميق في قلب الطهر المزدحم الذي تجري على حوافه حياة المدينة الغريبة ، ولا الفزع البهيج بينما ثقل الوجود كله يتأرجح على ورقة غصن يهتز منذراً بأن ينقصف مرنا ينخفض ثم لا يرتفع))**[٣١].

إذ تجلى المكان في النص آنف الذكر محدداً للمادة الحكائية ، فتحول إلى مكون روائي جوهري ينبأ بطبيعة الشخصيات المتفاعلة، فضلا عن ذلك ينبأ عن علاقة الشخصيات بالحوادث ومنظورها من خلال اللغة وأستدعاء بعض الاساطير الاغريقية المتمثلة بالهة الخمر عند الاغريق وبث الصور المنقولة مابين حوارية تلك الشخصيات .

وهكذا، "فالفضاء الروائي أكثر شمولاً واتساعاً من المكان" [٣٢]، فهو أمكنة الرواية كلها، إضافة إلى علاقاتها بالحوادث ومنظورات الشخصيات وهو ينشأ من خلال

وجهات نظر متعددة، لأنه يعاش على عدة مستويات، من طرف الراوي، بوصفه كائناً مشخصاً، وتخييلياً ، أساساً، ومن خلال اللغة، ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، وفى المقام الأخير من طرف القارئ، الذى يدرج بدوره وجهة نظر غاية فى الدقة [٣٣]. وهكذا يتجاوز المكان وظيفته الأولية المحددة، بوصفه مكاناً لوقوع الأحداث، إلى فضاء يتسع لبنية الرواية، ويؤثر فيها، من خلال زاوية أساسية، هي زاوية الإنسان الذى ينظر إليه.

إن المكان الهندسي البحت لا يمتلك قيمة فنية، ومن هنا كان اختلاف المكان في الرواية عن المكان في الواقع الخارجي، لأنّ المكان فى الرواية هو المكان معروضاً من زاوية الراوي والشخصيات والحوادث والأفكار ومن خلال تفاعلها جميعاً معه.

"إن المكان الروائي لا يتشكّل إلا باختراق الأبطال له، وليس هناك أي مكان محدد مسبقاً، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال ومن المميزات التي تخصّهم" [٣٤].

وقد ميّز بعض النقاد بين ثلاثة أنواع للمكان بحسب علاقة الرواية به، وهى:

١- **المكان المجازي:** وهو الذى نجده في رواية الأحداث وهو محض ساحة لوقوع الأحداث لا يتجاوز دوره التوضيح ولا يعبر عن تفاعل الشخصيات والحوادث، كما يطالعنا في باب،(حمامة تحت الأعمدة مكسورة القدم):

((...سافرت معه حتى بور سعيد من ١٩٥٦ كان لي أصدقاء في الميناء رجال البحر أولاد البلد الجدعان كانوا مازالوا يذكروننى منذ أن مررنا معاً تحت رصاص الانجليز ...في قطار الإسماعيلية هو بالطبع لم يستطع ابداً ان يتعامل مع المراكبية والبمبوطية ، ولكنك تعرف كيف احب الناس ويحبوننى وشهامتهم هؤلاء الناس فوق كل شيء...)[٣٥]

فقد بدا المكان هنا بكونه ساحة لوقوع الأحداث من دون أن يعبر عن تفاعل الشخصيات .

٢- **المكان الهندسي:** وهو الذى تصوره الرواية بدقة محايدة، تنقل أبعاده البصرية، فتعيش مسافاته، وتنقل جزئياته، من غير أن تعيش فيه. مثل:

((...وقد جاء بعض موظفي اتحاد عمال نقابات العرب، صاحب الدعوة بالكوفيه الفلسطينية، ونائهم بالملاية السوداء والاوركسترا في حفرتها تحت خشبة المسرح المدلة الستار مضطربة الأصوات والآلات والحركات يمتزج مواءها وعواءها ورنينها ودفقاتها النحاسية وخبطاتها على الطبلة مع دقات بياع الكوكولا بفتاحته على الزجاجات ....))[٣٦]

فقد صور الروائي المكان بدقة محايدة، إذ نقل للمتلقي ابعاده المسرحية (تحت خشبة المسرح المدلة الستار....) ونقل جزئياته .

٣- **المكان بوصفه تجربة :إذ** يحمل معاناة الشخصيات وأفكارها ورؤيتها للمكان وتثير خيال المتلقي فيستحضره بوصفه مكاناً متميزاً خاصاً كما في باب (مركب آخر البحيرة) [٣٧]. مثل:

((... أمسك بالحاجزين الطويلين على جانبي السُّلم ومسَّ الحديد الصدأ الخشن يخدشن يديه ويكهربهما وارتفع بجسمه على القبان العريضة التي تهتز وتنزل تحت ثقله قليلا كانت عواض الجسد الخشبية الجافة الدقيقة الالياف تتأرجح وهو يسير عليها عيناه تتعلقان بخيوطها المتلوية بذكريات خضرة قديمة غابرة قد ابيضت الآن من الملح والشمس...))[٣٨].

إذ يتمظهر المكان هنا بوصفه يحمل معاناة الشخصية وافكارها ورؤاها، كذلك يثير المكان للمتلقي باستحضار ماتعانيه الشخصية فيثير الخيال عن انفعالاتها فيبدو مكاناً خاصاً مفسراً ومميزاً.

ومن خلال التقسيم السابق نجد ان وصف المكان وحده لايساعد على خلق الفضاء الروائي ، دون وجود العنصر الفعال المتمثل بالشخصيات التي يخلقها الروائي ، وتأخذ مساحتها الشاسعة في المكان بحركتها، بأستنطاقها، أذ يجعل المتلقي ،يستشعر وجودها الحقيقي كما لو كانت شخصيات غير ورقية؛ لأنها تعبر عن ارائها، تفرح، تحزن، تأكل ،تنام،والى مالانهاية من صفات الأنسان الحقيقي ، كما رأينا حركتها وتفاعلها وتوظيف كافة حواسها الخمس في الأمثلة السابقة في رواية (رامة والتنين)،فتحول المكان الى عنصر فعال من خلال شخصياته المتفاعلة ، وهذا مايخدم الاطار العام للرواية بصورة عامة، ورواية الخراط بصورة خاصة.

إن المكان في الرواية من غير تلك الآفاق يغدو محض زخرف أو زينة، وفي أفضل الحالات يساعد على فهم الشخصيات وتفسيرها، ولكنه لا يتحول إلى فضاء، إن الوصف هو الأرض التي يمكن أن يبنى عليها الفضاء، ولكن الوصف وحده لا يصنعه، "المعيار إذن، هو بناء الفضاء الروائي، فإذا نجح الروائي في هذا البناء منح المكان الحقيقي والمكان المبتدع خصوصية الخلق الفني، وإلا، فلا" [٣٩]. اذ نجد (أدوار الخراط) نجح في هذا الخلق الفني الذي بثه في روايته، فغدت انموذجاً مميزاً للابداع والخلق المبتكر.

إذن يتجلى المكان عبر النظر اليه" بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي، فالمكان يكون منظماً بنفس الدقة التي نظمت فيها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر بعضها، ويقوّى من نفوذها، كما يعبر عن مقاصد المؤلف" [٤٠].كما في (اليوم التاسع والأخير) لادوار الخراط قال:

هذا يوم لاأنساه، يوم اعلان الحرب الفلسطينية الأولى، يوم اعتقلت في ٤٨ ،...في العمل السياسي، في العمل الثوري ن يموت الناس أحياناً أليس هذا مايسمونه مخاطرة محسوبة

قالت: هكذا ؟دون ثمن؟ في أربع وعشرين ساعة؟هذه المحاكمة الصورية الهزلية والفاجعة؟ ويقتل؟ لقد قتل. هذا قتل وليس محاكمة.(٤١)، نجد المؤلف هنا يبث أفكاره ، ومايدور في خلجات نفسه ، أذ يشير الى القضية الفلسطينية التي تعتبر الشغل الشاغل للامة العربية جمعاء ، والى طريقة القتل الوحشية من لدن الكيان المحتل، لكن اشارته ليست بطريقة التعبير المباشر اذ عبر عما يريد قوله لكن ليس بلسانه هو بل تكلم بلسان شخصياته التي وظفها في النص.

النتائج:

١. يتمظهر المكان مكاناً متصوراً جديداً ليس كما نعيشه على أرض الواقع بصورته الموضعية، بل يخلق متخيلا جديدً ورؤيا نافذة لتجليات عناصر الرواية.

٢. يكتنز المكان بقيم إنسانية يدرك فيها الإنسان أثره في حياته، ودوره الفاعل في رسم العلاقة بينه وبين العالم المحيط به. كما تمثل في رواية راما والتنين في اليوم التاسع والأخير كما نرى تأثير القضية الفلسطينية ومالها من آلآم في حياة الخراط

٣. يعدّ المكان بطلاً قائماً بذاته، محركاً للأحداث ومهيمناً سيميائياً لفهم كثير من الشخصيات والمبنى الحكائي في الرواية، فلم يعد يحصره الحيز الموضعي ويتمثل هذا المكان المجازي في روية الخراط في باب (حمامة تحت الأعمدة مكسورة القدم)، فكان البطل القائم هو بور سعيد ، والميناء.

٤. المكان عنصر حامل لدلالة الأحداث، ويمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية كما في باب (مركب آخر البحيرة) ، اذ فسر لنا المكان معاناة الشخصية وتجربتها الذاتية في هذه المعاناة.

٥. تحتوي البيئة الإنسان وهي حاملة لطباعه وانفعالاته لذا فهي تختلف من وإلى، فإن الإنسان طبقا لحاجاته ينتعش في بعض الأماكن ويذبل في بعضها كما في باب (شرخ من الرخام القديم).

٦. يندمج المكان في علاقة تفاعل مع المكونات الحكائية للسرد كالشخصيات والزمان والأحداث والرؤى السردية كما في الباب الأول من رواية رامة والتنين (ميخائيل والبجعة).

٧. يؤدي المكان في الرواية وظيفته ، فيكون إطار للمعنى، معبراً عن نفسية الشخصيات ، كما في اليوم التاسع والأخير ، من رواية رامة والتنين.

هوامش:

(١) ينظر أبتسام أبو دهب، ٢٠١٥، موقع الكتروني

(٢) ويكيديا : موقع ألكتروني

(٣) ينظر : دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجماعي للمكان: قادة عقاق ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ،(د،ط) ، ٢٠٠١م :٢٦٧ .

(٤) لسان العرب :مادة (مكن) : ٣٧٦١/٤ .

(٥) القاموس المحيط :محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ـ لبنان ،ط٢، ٢٠٠٤: مادة(مكن) ،١٥٨٥/١ .

(٦) ينظر :جماليات المكان ، غاستون بلاشر ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٩٨٤ :٣١ .

(٧) ينظر: المكان في شعر بدر شاكر السياب : فاتن محمد ،رسالة ماجستير ،جامعة تكريت ـ كلية الآداب، ٢٠١٠ :١٩ .

(٨) المكان في الشعر الأندلسي عصر الملوك والطوائف ، أمل سالم رشيد العميري ، مكة المكرمة ،ط١ ، ٢٠٠٢م:٣٠ .

(٩) ينظر: النسبية وطبيعة الزمكان:فيسيلين بتكوف،ترجمة:محمد احمد فؤاد باشا،المركز القومي للترجمة، القاهرة ـ مصر،ط١، ٢٠١٨ :١٣-١٢ .

(١٠) سيكولوجية الزمن في الإبداع الروائي: د. نصر محمد عباس ،دار النابغة للنشر والتوزيع ،ط١، ٢٠١٩ :٢٠

(١١) ينظر: صورة المتخيل في السرد البناء والدلالة :ليلى احمياني ،رؤية للنشر والتوزيع ،ط١، ٢٠١٦ :١٩٥ ـ ١٩٦ .

(١٢))ينظر مدن السراب، دراسة في تشكلات بناء المدينة في الرواية العراقية: أ.د : أحمد حيال جهاد :٥٤

(١٣)) بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي، المركز الثقافي العربين بيروت، ط١ ،١٩٩٠ ،:٣.

(١٤) ينظر:بنية النص السردي : احمد حميد الحمداني ، بيروت المركز الثقافي العربي ،١٩٩١ ،ط١ :٧٥ .

(١٥) المصدر السابق :٦٢ .

(١٦) جماليات المكان؛ استون باشلا ر. ترجمة غالب هلسا، ط٣، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م، : ٥ – ٦.

(١٧) ينظر:بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، بدرى عثمان .دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، . ط١، بيروت، ١٩٨٦م:٩٤.

(١٨) المصدر السابق :٨٢-٩٥ .

(١٩) رامة والتنين :١٣٧.

(٢٠) ينظر: بناء الرواية: دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم دراز. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م:٨٠.

(٢١) رامة والتنين:٢٣٤.

(٢٢) ينظر : بناء الرواية:٨٢ .

(٢٣) ينظر:استراتيجية المكان، مصطفى الضبع. القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر ١٩٩٨م:٦٠.

(٢٤) رامة والتنين:١٥٣.

(٢٥) بنية الشكل الروائي: الفضاء – الزمن – الشخصية:١٠١ .

(٢٦) استراتيجية المكان:٣٩٥.

(٢٧) رامة والتنين، أدوار الخراط، دار ومطابع المستقبل، مصر ، ط٢، ١٩٩٣م :٣٠

(٢٨) بنية الشكل الروائي:٣١

(٢٩) بناء الرواية العربية السورية، ، د. سمر روحى الفيصل اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥: ٢٥٣ .

(٣٠) بنية الشكل الروائي:٣٣ .

(٣١) رامة والتنين:٦٣.
(٣٢) بناء الرواية العربية السورية: ٢٥٦.
(٣٣) ينظر:بنية الشكل الروائى:٣٢ .
(٣٤) المصدر نفسه:٢٩ .
(٣٥) رامة والتنين:١٤٩.
(٣٦) رامة والتنين :٢٤٢.
(٣٧) جماليات المكان، اشلار، غاستون، ترجمة. غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط. ثانية، ١٩٨٤: ٨,٩ .
(٣٨) رامة والتنين:٤٢.
(٣٩) بناء الرواية العربية السورية:٢٦١ .
(٤٠) بنية الشكل الروائي : ٣٢ .

المصادر والمراجع:

١. استراتيجية المكان، مصطفى الضبع، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر ١٩٩٨م.
٢. بناء الرواية العربية السورية، ، د. سمر روحى الفيصل اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥.
٣. بناء الرواية: دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم دراز. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
٤. بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، بدرى عثمان. ط١، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
٥. بنية الشكل الروائي: الفضاء – الزمن – الشخصية، حسن بحراوي. ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م:٣٢.
٦. بنية النص السردي:احمد حميد الحمداني ، بيروت المركز الثقافي العربي،١٩٩١ ،ط١.
٧. جماليات المكان، اشلار، غاستون، ترجمة. غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط. ثانية، ١٩٨٤ .
٨. دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجماعي للمكان: قادة عقاق ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ،(د،ط) ، ٢٠٠١م .
٩. سيكولوجية الزمن في الإبداع الروائي: د. نصر محمد عباس ،دار النابغة للنشر والتوزيع ،ط١، ٢٠١٩ .

١٠. صورة المتخيل في السرد البناء والدلالة :ليلى احمياني ،رؤية للنشر والتوزيع ،ط١ ،٢٠١٦ .
١١. فلسفة المكان في الشعر العربي ــ قراءة موضوعاتية جمالية: د.حبيب مؤنسي منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق، ٢٠٠١م.
١٢. القاموس المحيط :محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ــ لبنان ،ط٢، ٢٠٠٤.
١٣. لسان العرب ، ابن منظور ، لبنان، بيروت ، تدقيق ،د.يوسف البقاعي، ط١ ،٢٠١٥ .
١٤. مشكلة المكان الفني، يورى لوتمان. ترجمة سيزا قاسم دراز، »ألف« مجلة البلاغة المقارنة، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ع٦، ربيع ١٩٨٦م .
١٥. المكان في الشعر الأندلسي عصر الملوك والطوائف ، أمل سالم رشيد العميري ، مكة المكرمة ،ط١ ، ٢٠٠٢م .
١٦. المكان في شعر بدر شاكر السياب:فاتن محمد ،رسالة ماجستير ،جامعة تكريت ــ كلية الآداب، ٢٠١٠ .
١٧. النسبية وطبيعة الزمكان: فيسيلين بتكوف، ترجمة: محمد احمد فؤاد باشا، المركز القومي للترجمة، القاهرة ـ مصر،ط١، ٢٠١٨ .